كيف تمّ في يوم واحد؟

بقلم الاب لامنس اليسوعي

شاءت تركية الجديدة ان تقوم لأول مرة باحصاء عدد سكانها ، فاتخذت كثيراً من التدابير العجيبة في سبيل ذلك. وانه لمن المفيد اللاذّ ان نرى كيف جرت هذه العملية الدقيقة في بلاد لم تتعوّد الاحصاء منذ وُجد الاتراك . بدأت الحكومة بان عيّنت لادارة الاحصاء اختصاصياً بلجيكياً اسمه كميل جاكار (C. Jacquart) فصرف ثلاث سنوات في تنظيم دوائر الاحصاء في الجمهورية الجديدة ، وكانت كلّها بحكم العدم قبل ذلك.

اما الاحصاء نفسه فقد تمّ في نهار واحد ، بعد ان دامت الاستعدادات له عدة شهور . وكانت اول الاعمال وضع اسماء للشوارع وارقام للبيوت . وهو امر تمّ بسهولة في المدن الكبيرة ، ولكنه لاقى الصعوبات الجمّة في النواحي البعيدة ، ولاسيما الولايات الشرقية ، حيث يمرّ الانسان بالقرى العديدة دون ان يصادف من يقرأ او يكتب . على ان المسيو جاكار يؤكد انه انتصر على هذه الصعوبات جميعها ، وليس لنا الّا ان نصدّق قوله.

بقي على الحكومة ان تجد مأمورين يكلفون احصاء السكّان ، وقد قُدّر العدد اللازم من هؤلاء المُحصين بستين الف مأمور ، وهو عدد لا يُستهان به . امّا كيف توصّلت الحكومة الى الحصول عليه فأمر غاية في البساطة : اصدرت قراراً يجبر كل شخص يعرف القراءة والكتابة ان يخدم المصلحة مجاناً فيقوم باعمال الاحصاء . وهكذا نرى ان الكماليين لا يُغالون في اعتبار الحريّة الشخصيّة ! ورغبة في زيادة الاسراع ايضاً ، صدر قرار آخر يحرّم على جميع

سكان الجمهورية ترك منازلهم في النهار المعيّن للاحصاء . وبفضل هذه التدابير الرشيدة تمّت جميع عمليات الاحصاء في كل المناطق في نهار واحد ، وانتهت قبل غروب الشمس ، الّا في الاستانة حيث ظلّت حتى الساعة التاسعة مساء . وقد برهن البوليس في ذاك النهار عن تمسك دقيق بالشريعة ، فلم يتراجع عن معاقبة المخالف ايّاً كان . حتى ان خادم المسيو جاكار نفسه الذي خرج لقضاء بعض الامور دون انتباه للشريعة الجديدة ، القي في السجن دون فحص ولا تحقيق ؛ ولم يخرج الّا بعد انقضاء النهار ، وبعد ان دفع خمس ليرات جزاء نقدياً .

ولكننا لا نعلم هل كان تمسك مأموري الاحصاء بواجباتهم يضاهي تمسك افراد البوليس . وكم كان عدد المستعدّين لاجراء مهمتهم الدقيقة في هذا الجيش البالغ ستين الف مأمور ! وكم كان عدد الذين تخلّصوا من اعمالهم تخلّصهم من سُخرة مزعجة ! وعلى كلّ فان المسيو جاكار اظهر تفاؤلاً كبيراً معتبراً ان في جميع مأموريه كل الصفات الضرورية لاجراء هذه الاعمال .

ولم تمضِ اربعة ايام على ذلك حتى انتهى فحص الوف البرقيات الواردة من جميع الولايات معلنة خلاصة الاحصاء ، فكانت النتيجة ان في تركية ١٣,٥٠٠,٠٠٠ نفس . فسُرت حكومة انقرة غاية السرور لانها لم تكن لتنتظر مثل هذا العدد . ثم ان الكثيرين من افراد القبائل الرّحل تمكنوا ، على الرغم من المراقبة الشديدة ، ان يتخلّصوا من الاحصاء خوفاً من ان يدعوا للخدمة العسكرية او ان يجبروا على دفع الضرائب . ولكن اذا انتبهنا لعدم وجود الترتيب الدقيق خارج المدن الكبيرة ، واذا انتبهنا ايضاً لرغبة اكثر المأمورين في ارضاء حكومة انقره ، امكننا الظنّ ان كثيراً من الارقام الثانوية تضخّمت ، وان الثلاثة عشر مليوناً ونصف المليون ارقامٌ اميل الى الزيادة منها الى النقص بالنسبة لعدد السكّان الحقيقي بما فيه القبائل الرّحل في برّ الاناضول .

هذا وان المسيو جاكار يسعى اليوم في ايجاد دائرة للنفوس . وسيكون اهتمامه الاولي باجبار جميع الاتراك على اتخاذ اسم اسرة يمكنهم من تقييد اسمائهم في السجلّ دون التعرّض للالتباس والغموض .